شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ

﴿الخُطْبَةُ الأُولَى﴾

١٤٤٢/١٢/٢٩هـ

الْحَمْدُ للهِ مُصَرِّفِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ، يُكَوِّرُ اللَّيلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيلِ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ مَا تَعَاقَبَتِ السَّنَوَاتُ وَالشُّهُورُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْحَسِيبُ الرَّقِيبُ وَهُوَ الْغَفُورُ الشَّكُورُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ يَومَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِ بَيتِهِ وَصَحَابَتِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللهِ: فَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] وَآخِرُ هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ هُوَ هَذَا الشَّهْرُ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ شُهُورِ السَّنَةِ الهِجْرِيَّةِ مِنْ كُلِّ عَامٍ، وَلَهُ مِنَ الْمَكَانَةِ مِثْلُ ما لِبَقِيَّةِ الشُّهُورِ الْحُرُمِ قَبْلَهُ.

مَعَاشِرَ المسْلِمِينَ: إِنَّ التَّارِيخَ السَّنَوِيَّ الْهِجْرِيَّ بِشَكْلِهِ الْحَالِيِّ لَمْ يَكُنْ مَعْمُولًا بِهِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا فِي عَهْدِ خَلِيفَتِهِ الرَّاشِدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه بَلْ بَدَأَ الْعَمَلُ بِهِ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه.

وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رضي الله عنه رُفِعَ إِلَيهِ صَكٌّ -أَي: حُجَّةٌ- لِرَجُلٍ عَلَى

آخَرَ، وَفِيهِ أَنَّهُ يَحِلُّ عَلَيهِ الدَّينُ فِي شَعْبَانَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيُّ شَعْبَانَ؟ أَشَعْبَانُ هَذِهِ السَّنَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا، أَوِ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، أَوِ الآتِيَةِ؟ ثُمَّ جَمَعَ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنَ الصَّحَابَةِ فَاسْتَشَارَهُمْ فِي وَضْعِ تَأْرِيخٍ يَتَعَرَّفُونَ بِهِ حُلُولَ الدُّيُونِ، وَغَيرَ ذَلِكَ، فَأَشَارُوا عَلَيهِ بِآرَاءَ عَدِيدَةٍ، فَمَالَ عُمَرُ ﷺ إِلَى التَّأْرِيخِ بِالهِجْرَةِ لِظُهُورِهَا وَاشْتِهَارِهَا، وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْإِذْعَانُ لِهَذَا الْأَمْرِ؛ لِمَا رَوَاهُ أَبُو نَجِيحٍ الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«عَلَيكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

وَمِمَّا يَنْبَغِي عِلْمُهُ أَنَّهُ لَيسَ لِبِدَايَةِ عَامٍ وَنِهَايَةِ آخَرَ عِبَادَةٌ مَشْرُوعَةٌ، وَلَا ذِكْرٌ وَارِدٌ وَلَا دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ، بَلْ هُوَ يَومٌ كَسَائِرِ الْأَيَّامِ، وَلَمْ يَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ شَيءٌ فِي ذَلِكَ، لَكِنْ مَعَ انْصِرَامِ عَامٍ مِنْ أَعْمَارِنَا وَابْتِدَاءِ عَامٍ جَدِيدٍ يَحْسُنُ الْحَدِيثُ عَنْ مُحَاسَبَةِ الْمُسْلِمِ نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ مَمَاتِهِ.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّ قَوْلَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]؛ أَصْلٌ فِي مُحَاسَبَةِ الْمُسْلِمِ نَفْسَهُ، وَهَذِهِ الْمُحَاسَبَةُ غَيرُ مُرْتَبِطَةٍ بِتَوقِيتٍ مُعَيَّنٍ وَلَا عُمُرٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ هِيَ مَطْلُوبَةٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ، غَيرَ أَنَّ نِهَايَةَ الْعَامِ وَبِدَايَةَ غَيرِهِ تُذَكِّرُنَا بِمَبْدَأِ الْمُحَاسَبَةِ، فَمِثْلَمَا يَكُونُ لِلتَّاجِرِ حِسَابٌ فِي نِهَايَةِ كُلِّ عَامٍ،

يَرْصُدُ فِيهِ أَرْبَاحَهُ وَخَسَائِرَهُ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِ حِسَابٌ لِنَفْسِهِ فِيمَا مَرَّ مِنْ عُمُرِهِ، فَيَتَأَمَّلُ فِي حَالِهِ وَعَمَلِهِ وَعَامَّةِ أُمُورِهِ، فِي عَامِهِ الَّذِي انْصَرَمَ، أَو شَهْرِهِ الَّذِي مَضَى، أَو يَومِهِ الَّذِي انْقَضَى؛ مَاذَا كَسَبَ فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَيَتَذَكَّرُهَا وَيَغْتَبِطُ، وَتَكُونُ عَوْنًا لَهُ عَلَى الِاسْتِزَادَةِ مِنْهَا، ثُمَّ يَتَذَكَّرُ مَا جَنَى مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالتَّقْصِيرِ، فَيَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ إِلَيهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَوْنًا لَهُ عَلَى تَجَنُّبِ تَكْرَارِ ذَلِكَ التَّفْرِيطِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ بِخَيرٍ مَا كَانَ لَهُ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَكَانَتْ الْمُحَاسَبَةُ هَمَّهُ".

وَقَالَ مَيمُونُ بْنُ مِهْرَانَ رَحِمَهُ اللهُ: "لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَى يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيكِ

لِشَرِيكِهِ، وَلِهَذَا قِيلَ: النَّفْسُ كَالشَّرِيكِ الْخَوَّانِ، إِنْ لَمْ تُحَاسِبْهُ ذَهَبَ بِمَالِكَ".

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُمَا اللهُ أَنَّهُ قَالَ: "مَكْتُوبٌ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ: "حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَغْفَلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ: سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٍ يَخْلُو فِيهَا مَعَ إِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَسَاعَةٍ يُخَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّاتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَونًا عَلَى تِلْكَ السَّاعَاتِ وَإِجْمَامًا لِلْقُلُوبِ".

وَالْعَاقِلُ الْأَرِيبُ هُوَ مَنْ يَعْمُرُ آخِرَتَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي دُنْيَاهُ، وَالْمَغْبُونُ الشَّقِيُّ هُوَ مَنْ يَعْمُرُ دُنْيَاهُ عَلَى حِسَابِ خَرَابِ آخِرَتِهِ.

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى، وَتعْمُرُ فَانِيًا

فَلاَ ذَاكَ مَوفُورٌ، وَلاَ ذَاكَ عَامِرُ

فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً

وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيرًا لَدَى اللهِ عَاذِرُ؟؟

أَتَرْضَى بِأَنْ تَمْضِي الْحَياةُ وَتَنْقَضِي

وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ؟؟

فَهَلْ يَظُنُّ أَحَدُنَا أَنَّ مَا مَضَى فَاتَ وانْتَهَى؟ لَا وَاللهِ، فَإِنَّ مَا فَاتَ لا يَمُوتُ، لِأَنَّهُ بَاقٍ لِيَلْقَاهُ الْعَبْدُ يَومَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يُحَاسَبَ عَلَيهِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ تَوبَةٍ صَادِقَةٍ تَمْحُو مَا مَضَى، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَولُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يومَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَو أَنَّ بَينَهَا وَبَينَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]

وَطَرِيقُ النَّجَاةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَا عِبَادَ اللهِ أَنْ يَكُونَ لِسَانُ حَالِنَا وَمَقَالِنَا قَولَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه حِينَ قَالَ: "مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيءٍ نَدَمِي عَلَى يَومٍ غَرَبَتْ شَمْسُهُ؛ نَقَصَ فِيهِ أَجَلِي وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي".

فَاللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، وَارْزُقْنَا هِمَمًا أَبِيَّةً، وَنُفُوسًا زَكِيَّةً، تُقْبِلُ عَلَى كُلِّ خَيرٍ وَبِرٍّ، وَتَنْفِرُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَإِثْمٍ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

قَدْ قُلْتُ ما سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

﴿الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ﴾

الْحَمْدُ للهِ وَلِيِّ الْحَمْدِ وَالنِّعْمَةِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ الهُدَى وَنَبِيِّ الرَّحْمَةِ.

أَمَّا بَعْدُ عِبادَ اللهِ:

فَإِنَّ خَيرَ مَا تَزَوَّدَ بِهِ الْمُؤْمِنُ هُوَ تَقْوَى اللهِ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وَالتَّقْوَى وَصْفٌ جَامِعٌ لِكُلّ مَا يَجْعَلُ بَينَ الْعَبْدِ وَبَينَ عَذَابِ اللهِ وِقَايَةً مِن امْتِثَالِ الْمَأْمُورَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ، وَقَدْ أَوْصَانَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصِّيَامِ فِي شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ، وَجَعَلَ لِلصَّومِ فِيهِ فَضْلًا عَلَى الصَّومِ فِي غَيرِهِ مَا عَدَا صَومَ رَمَضَانَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ**» رواه مسلم.

فَحَرِيٌّ بِنَا -أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ- أَنْ نَبْدَأَ عَامَنَا بِالطَّاعَاتِ، وَمِنْهَا صَومُ بِضْعَةِ أَيَّامٍ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ؛ لِعِظَمِ ثَوَابِهِ عِنْدَ اللهِ.

أَسْأَلُ اللهَ تَعالَى بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يُبَلِّغَنَا وَإِيَّاكُمْ كُلَّ خَيرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالمِينَ؛ فَقَدْ أُمِرْتُمْ بِذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَى سَيِّدِ الْأَنَامِ فِي جَمِيعِ الْأَوقَاتِ وَالْأَيَّامِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلصَّلاةِ عَلَيهِ فِي هَذَا الْيَومِ مَزِيَّةً وَحِكْمِةً، فَكُلُّ خَيرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَإِنَّمَا نَالَتْهُ عَلَى يَدِهِ وَبِسَبَبِهِ، فَجَزَاهُ

اللهُ عَنَّا خَيرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ قَوْمِهِ وَرَسُولًا عَنْ أُمَّتِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى، وَالنَّبِيِّ الْمُجْتَبَى، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المؤمِنِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعةِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَجُودِكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالمسْلِمينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمشْرِكينَ، اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا، وَاجْعَلْهُمْ هُدَاةً مُهْتَدِينَ يَارَبَّ العَالَمِينَ، **اللَّهُمَّ** أَيِّدْ إِمَامَنَا خَادِمَ الْحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ

وَوَلِيَّ عَهْدِهِ بِتَأْيِيدِكَ، وَسَدِّدْ أَقْوَالَهُمَا وَأَفْعَالَهُمَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَبْرِمْ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَمْرَ رُشْدٍ يُعَزُّ فِيهِ أَهْلُ الطَّاعَةِ، وَيُهْدَى فِيهِ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلتَّوبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَافْتَحْ لَنَا أَبْوابَ الْقَبُولِ وَالْإِجابَةِ، وَتَقَبَّلْ طَاعَاتِنَا، وَدُعَاءَنَا، وَأَصْلِحْ أَعْمَالَنَا، وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا، وَتُبْ عَلَينَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.